«أنا التي تحمل الزهور الى قبرها» فيلم تسجيلي لهالة العبد الله:

شظايا حياة على ايقاع الشعر!

باريس ـ «القدس العربي»
ـ من صالح دياب:

بعد مسيرة سينمائية تمتد قرابة ربع قرن، في العمل السينمائي شاركت فيها هالة عبد الله، اخراجا وانتاجا مع مخرجين سوريين ولبنانيين وفرنسيين، ها هي تخرج عملها السينمائي الأول الخاص بها، الذي ينتمي الى السينما المستقلة، كونه غير ممول من قبل أي مؤسسة.

كما يشاركها المخرج السوري عمار البيك،هالة عبد الله التي بدأت العمل في أفلام كثيرة، ومشاريع سينمائية لم يقدر لها أن ترى النور، تلمها جميعها عبر فيلم وثائقي طويل بالأبيض والأسود، هو حصيلة السنوات الماضية.

أعطت المخرجة للفيلم اسما هو جملة شعرية للشاعرة السورية دعد حداد التي عاشت في فترة السبعينات وخلفت وراءها ثلاث مجموعات شعرية. وقد تميزت لغة الشاعرة بذهابها الى الارتطام بعنف بتجربتها الشخصية، خصوصا تجربتها العاطفية الخائبة، التي طبعت نظرتها الى العالم، متناثرة على شكل قصائد تتصف بالشفافية الهائلة بقدر ما تحيل على الشروخ الذاتية العميقة.عنوان الفيلم هو «أنا التي تحمل الزهور الى قبرها».

يتجلى الفيلم على شكل كسور حياة شخصية لثلاث شخصيات نسائية سورية، اضافة الى الشاعر نزيه أبو عفش الذي يتحدث عن الشاعرة دعد حداد، والفنانين الياس الزيات، ويوسف عبد لكي.

لئن بدت هذه الكسور الحياتية شديدة الخصوصية لالتصاقها بحياة الشخصيات وارتباطها بتجاربهم الذاتية، من ضمنها تجربة السجن التي يعرج عليها الفيلم، فانها تنفتح على العام في شكل من الأشكال، هذا العام يخص الحياة السورية في صورتها البانورامية. واختلاف المهن والحرف التي تعمل فيها الشخصيات، لم يمنع خيطا يخترقها جميعا هو عدم تحقق آمالها واجهاض أحلامها.

يرسم الفيلم لوحة كاملة عن هذه الأحلام لعينة تمثل شريحة عريضة من المجتمع السوري، مقدما في النهاية لوحة بانورامية عن الأحلام المجهضة لشعب كامل.

ثمة الكثير الكثير من الحميمية التي تظهر في الفيلم، من خلال بوح الشخصيات وحديثها عن نفسها،الى الدرجة التي نشعر فيها أن سورية كلها تعبر من خلال هذا البوح الحار والجارح، وتختصر فيه حيث يتداخل الذاتي مع العام، والروحي مع الواقعي، والبوح مع التصريح، فيما القصص والسير المتنوعة تتشابك لتصوغ قصة بلد كامل.

ان كثيرا من التفاصيل الجارحة التي ترويها الشخصيات عن نفسها تتقاطع تقاطعا مع السيرة الذاتية لهالة عبد الله، الأمر الذي جعل المخرجة تصور حياتها وسيرتها الذاتية في الآن نفسه، عبر هذه الشخصيات.

لم تسع المخرجة الى اطلاق أجوبة وتقديم

من الفيلم

حلول أو اعلان رأي ما، بل تركت الشخصيات تكتب وترسم صورتها وحدها.

وعدم استخدام المؤثرات الصوتية، وتحوير أو تنظيف الصوت ساهم في تكثيف الحميمية في الفيلم، التي تجلت أيضا عبر تلون الطبقات الصوتية للشخصيات أثناء حديثها عن مراراتها وأفراحها.

فيلم «أنا التي تحمل الزهور الى قبرها» عن الشخصي والأحاسيس والعواطف والأحلام المجهضة.يضج بالمرارة، والحميمية.أما تكملة جملة دعد حداد فهي

«وتبكي من شدة الشعر».

اشترك الفيلم في مهرجان البندقية في دورته الثالثة والستين ونال جائزة اتحاد السينمائيين الايطاليين وهو الفيلم السوري الأول الذي يشترك في هذا المهرجان.وقد قوبل بحفاوة وايجابية أدت الى دعوته الى عدد من المهرجانات السينمائية مثل مهرجان السينما في المكسيك، وسان باولو في البرازيل، ومهرجان لايبزغ للأفلام الوثائقية ومهرجان السينما في بيروت في الدورة الجديدة.سيعرض الفيلم في بيروت في سينما أمبير، يومي الجمعة والسبت.

هالة عبدالله

خطأ صميمي

غصون رحال *

[إلى الدكتور عبد الحسين شعبان]

القاهرة تفور بالبشر، والفندق العريق يلقي بقدميه على حافة مياه النيل مداعبا. الصباح التشريني مغلف «بشبورة» ضبابية رطبة، والمطعم الذي يعتمر طبقة الفندق الثالثة عشرة كقبعة أنيقة، ويفوح برائحة القهوة الطازجة وأصناف الطعام الشهية، يدعوني الى التسكع في ارجائه لانتقاء الطاولة الأكثر قربا من الواجهه الزجاجية المطلة على النهر لاحتساء قهوتي ... شمس تشرين الباهتة تطلّ من زجاج النافذه وتغمرني... وأنا التي تبحث عن شمس تشرق مرتين. مرة من ثنايا الفجر، بوجه ملتهب يغمر جسد الارض التائق الى دفء النشوة، ومرة أخرى من نظرة عين تخترق شغاف القلب وتدغدغ دقاته كنسيم البحر. تحملني فوق جناحي قوس قزح وتلقي بي في احضان شاطئ نحاسي مدجج بالضياء والدهشة.

وفيما كنت غارقة باحتضان حلمي المغمس بالعسل ونثر قطع السكر الكريستالية في فنجان القهوة الصباحية... كان الاجتماع التمهيدي المعد للباحثين قد بدأ. التحقت بالآخرين بعد أن احتلوا مقاعدهم. واجهتني حول الطاولة عشر يافطات باسماء المشاركين، وعشرة أعلام عربية. بحثت عن اليافطة التي تحمل اسمي والى جوارها انتصب علم صغير للبلد الذي امثله، فجلست في ظلّه.

لم أتبين قراره الذي كان قد تمّ بصمت...

أثنى على العرض الموجز الذي تقدّمت به عن مجمل دراستي بكلمات قليله: عرض واف، وضمن الوقت المحدد. احييك!

لم استطع رد تحيته بمثلها بعد ان استعمت الى عرضه. أسهب كثيرا، وأطال، وشرح، وقدم الأعذار حول خصوصية الوصول الى ارقام ونتائج محددة ضمن بحثه. لكني عذرته طالما انه يتحدث عن العراق. فكيف لباحث ان يتوصل الى مصادر المعلومات حول أي بحث في بلد مثل العراق!

مر النهار القرمزي في نقاشات مشبعة بوجع الخيبة ...لنجد نفسينا نلهو مع الوقت في مساء الشارع من ميدان طلعت حرب... حتى مكتبة «مدبولي» العريقة ....أيقنت لحظتها أن الحياة ابعد من قارعة طريق...

اخترت رواية ذاع صيتها، واحتلت رأس قائمة الكتب الأكثر مبيعا «عمارة يعقوبيان». اما هو فتناول كتابا سياسيا حول العراق ما عدت أذكر عنوانه. ما كان لدينا خطة ما للقضاء على الوقت، فذهبنا للتسوق، ثم خطر له ان يصحبني الى نادي يوناني شهير لا يبعد كثيرا عن وسط البلد.

احتفى به صاحب النادي، والنادل الكهل، وحياه من بعيد رجل يجلس الى طاولة مطرفة، فردّ له التحية. شربنا نخبا وأكلنا تشكيلة من ثمار البحر اللذيذة، وانتشيت بالاستماع الى شعر عذب، لم أكن اعرف انه لمظفر النواب.

تفاجأت وهو يلقيه بصوته الحزين ولهجته العراقية الخالصة:

«مو حزن لكن حزين...

مثل ما تنقطع تحت المطر شدة ياسمين.

مثل صندوق العرس ينباع خردة من تمضي السنين

مثل بلبل قعد متأخر لقى البستان كلها بلايا تين ...

انا قلتلك مو حزن... لكن حزين».

قفز السؤال الى رأسي: ما عسى ان تكون نهاية هذه الليلة؟

رحت أفتش عن ملامح لوجهي في قلب هذا الكون فلم أجدها، ولم أجد الأسئلة المناسبة لما املك من أجوبة مبهمة؛ لم تتحقق نبوءة الخلق، وما كان آدم وذريته إلا صورا من عذابات الأزل!

نحن العالقين أبدا ما بين موت طارئ، وموت حتمي لا نعبأ الا بلعق العسل! لا نجاة من مصير لا يعرفني، ولا مفرّ من مذاق الغيب حلوا... او مرّا!

ما فات من ايامي ينذر بضياع الفجر، لأنتظر بياض الليل الآتي إذن كي أتبين أمري...

سأل بانتعاش من استيقظ من نوع هادئ عميق: أين نذهب؟

نظرت الى ساعتي، كانت تشير الى الحادية عشرة ليلا!

دار سؤاله في رأسي دورة كاملة، وتساءلت عن مغزى الاستمرار في التسكع!

قلت: نذهب الى «الحسين»، الى قهوة نجيب محفوظ وندخن النارجيلة.

قال: حسنا، ولكن لنذهب أولا لوضع المشتريات في الفندق.

وبما أن الفندق كان على بعد خطوات فقط لم امانع، خاصة وأنني اردت التخفف من أكياس مشترياتي التي أصرّ على حملها.

قلت: نلتقي في الردهة الخارجية بعد قليل.

اقترح: «سأرن» لك عندما أجهز.

رن الهاتف بعد حوالي نصف ساعة، كنت خلالها قد تحللت من بعض ملابسي وتمددت على السرير وشعرت بخدر لذيذ يتسلّل الى اوصالي بعد عناء يوم طويل.

اجبت الهاتف بتعب: لندع الحسين الى مرة ثانية، يكاد يقتلني النعاس.

رد بنبرة استياء: كما تريدين... وتمنى لي ليلة هانئة .

بعد وقت... جمعنا لقاء آخر في أحد المقاهي... وفوق أرضي أنا.

قال: كنت خائفة...

قاطعته باستنكار: ولم الخوف؟ فقط كنت مرهقة... صدقني!

لم يصدقني، وما صدقت نفسي أيضا، فاعترفت: نعم خفت.

شرد. بعد تنهيدة طويلة قال: انت خطأ صميمي!

ابتسمت معلّقة: وكيف يكون الخطأ الصميمي!

قال: الخطأ المدروس، الذي يقترف بكامل الوعي والإرادة.

استزدت: وما الفرق بينه وبين الخطأ غير الصميمي ؟

اوضح: الخطأ غير الصميمي هو الخطأ الذي يقع سهوا. هو الخطأ التافه، الضئيل...

قلت مقاطعة: لكن الخطأ المقصود ليس بخطأ لأن الانسان يعتقد وهو يرتكبه انه يفعل الصواب.

اجاب: بالعكس. الخطأ الصميمي هو الخطأ البهي، العظيم، الذي يشعر من يرتكبه بالانتشاء رغم علمه الصريح بأن ما يقوم به هو الخطأ بأم عينيه!

ـ لم افهم !

ـ ليس مهما، ستفهمين مع الايام. وصمت.

اخوض ثانية في زحام الطريق حتى باب غرفتي التي تستقبلني على استحياء، فأدفن بين جدرانها توقي الى الشاطئ النحاسي، واشيّع من على فراشي حلما الى مثواه الأخير، ثم أخلد الى نوم آخر علّ الغد يشرق من عيني حبيب.

مرّت الأيام ولم افهم، وها انت اليوم في الجوار البعيد... تحصي خطاياك.

وها أنذا أناوئ نفسي بعد كل هذا الزمن الذي هدّني واقعدني عن ارتكاب الاخطاء الصميمية منها وغير الصميمية، امتلئ برغبة أخيرة... رغبة في موت بهي.

موت، اشتهيه، اطارحه الغرام، ثم اميته!

لي رغبة في موت أهيم في هواه ...كأن اختنق بقبلة !

* كاتبة من الأردن

تداعيات

رمضان الفريضة.. والساعات الجميلة

د. عبد العزيز المقالح

■ في هذه الواحة الرمضانية البديعة المتمثلة في هذا الشهر الكريم المبارك تمكنت الروح ان تقطع ـ حتى الآن ـ شوطا لا بأس به على طريق مجاهدة الجسد الذي يأمر فيطاع ويطلب فيستجاب.

وكما ان لكل فصل من فصول العام لونه ومناخه الخاص فان للشهور رغم مظاهر التشابه لونا وطابعا يختلف من شهر الى آخر باختلاف موقعه من حركة دوران الأرض من ناحية ومن زاوية تلقيه لاضواء الشمس وظلالها من ناحية ثانية. ويبقى الشهر الكريم المبارك، رمضان، اكثر شهور العام تعبيرا عن التميز والاختلاف بما له ـ بفضل فريضة الصوم التي ارتبطت به ـ من دفء روحي حميم ومقدرة على التغيير في حياة المسلمين في جميع انحاء الارض.

وحتى الطبيعة، تبدو في هذا الشهر مختلفة عنها في سائر شهور العام، للشروق في رمضان كما للغروب معانٍ غير تلك التي كانت لها في شهور سابقة او اخرى لاحقة حيث تنهمر حالة اشعاع نادرة تعكس نفسها على محيط الصائم اينما كان وتحت اي ظرف يكون وتبدو معها المباني والشوارع والجبال ووجوه الناس في وضع اعذب واجمل مما كانت عليه، فضلا عن ان نجاح هذه الحالة داخل النفس يجعل ما كان يبدو كامنا ومضمرا في السريرة الانسانية وقد اصبح حقيقة ماثلة في الواقع يكاد الصائم يلمسها بيديه ويدركها بحواسه الخمس.

واذا كانت بعض العبادات الملزمة للمسلم تجنح نحو التجريد الروحي فان فريضة الصوم واحدة من الفرائض العملية التي ترتسم خطوطها ويتكامل اداؤها عبر الروح والجسد معا، وعبر تحرير النفس من الخضوع للعادة وتجاوز المألوف والمعتاد والخروج من دوائر التكرار. وما كان للانسان المسلم ان يؤديها بانتظام والتزام لو لم تكن ركنا دينيا وفريضة واجبة الاداء يتأكد بها ومعها ان الانسان ليس جسدا فحسب، وليس فما مفتوحا سائر الوقت لا يكف عن المضغ والبلع وانما هو كذلك روح تقاوم وتنشد الصفاء والنقاء والتخفف من رغبات الجسد بما فيها تلك الرغبات المشروعة. وحكمة الصوم تتوقف على نجاحه في الخروج بالمسلم طوعا من دائرة التكرار والدوران في يوم لا يتغير يبدأ مع الافطار ويتوسط مع طعام الغداء وينتهي مع تناول وجبة العشاء.

ان الانسان بوصفه مخلوقا ارضيا خاضعا لمتطلبات ورغبات نفسية بحاجة الى قانون روحي ينقذه ويحفر في اعماقه المزيد من القوة في مقاومة هذا الخضوع وتطويعه تدريجيا للخلاص من تأثير العادات اليومية وما تفرضه من آلية في التحكم بحياته. ومن هنا تبدو الاهمية الاستثنائية لشهر رمضان هذه الواحة السنوية التي تمنحنا القدرة على التأمل والمخالفة وعدم النظر الى العالم والحياة في اطار ثابت ينطوي على ادمان الحالة اليومية الواحدة ومظاهرها التي لا تعرف الاختلاف الداعي الى البحث عن حالة من الطمأنينة ليس للانسان وحده وانما للوجود ايضا هذا المكان الواسع الذي يعيش فيه.

ويبدو ان القائمين على كهرباء العاصمة قد ساعدوا من حيث لا يعلمون على انجاح التوازن الرمضاني بين الروح والجسد هذا الاتحاد الذي يتكون منه الكائن البشري وفق مشيئة الله، وذلك من خلال استمرار الاطفاءات الليلية التي تتكرر اكثر من مرة في الليلة الواحدة، وذلك لاتاحة الفرصة للتأمل والبحث عن الاستنارة القلبية وهجر الفضائيات وما أدخلته على حياة الناس من خضوع وانشداد الى شاشاتها الصغيرة المرهقة للعين والروح. وتلك حسنة سيكتبها الله للقائمين على مسألة الانارة في العاصمة والذين يختارون وقت السحر والسحور لتكون مساحة الاطفاء الكبرى حتى لا يتبدد ذلك الوقت الجميل فيما لا ينفع الانسان الصائم وهو يستعد لاستقبال يومه الجديد بكل ما فيه من انوار تتضاءل عندها اضواء الشموع والمصابيح.

تأملات شعرية:

كلما كانت الروح اعظم
والنفس أقوى،
تكون المهمة اسمى
وتبدو والحياة على الارض
اجمل في كل آن.
يا سيد العام...
ماذا يفيد الضياء اذا اظلم الروحُ
وانطفأت في الشعور القناديل
واحترقت هالة الشمعدان؟!

حاكم مردان.. شعر وخواطر مصورة ورموز

بيروت ـ من جورج جحا:

مجموعة الشاعر العراقي حاكم مردان صغيرة حجما لكنها ساحة تحتشد فيها اشكال ذات سمات خاصة من الشعر ..خواطر ورموز.. وطبيعة تصويرية بعيدة الاغوار. كتابة مردان الشعرية وخواطره وصوره طويلها وقصيرها تراوح في طبيعتها بين الساخر بمرارة وبين ما يمكن ان يطلق عليه تعبير المرارة التي تتخطى مألوفها لتصبح حافلة بالمفجع. وفي كثير مما حملته كان مسرحها عالما رومانسيا يسترجع طفولة حينا ويتقمص الطبيعة من خلال الورقة والشجرة او الزهرة التي تفتح في اطلالتها الاولى وفي سقوطها ابواب الفصول وتغلقها في دورات متتالية هي الحياة والطبيعة وقد تحولت احيانا الى حالات انسانية او الى اقنعة او فلنقل رموزا نقرأ من خلالها هذه الحالات. المجموعة حملت عنوانا موحيا قد يصلح لان يكون «عنوانا» تقرأ من خلاله الرسالة كلها كما يقال وهو «نملة تنؤ بحملها .. غابة تميد» وجاءت في نحو خمسين صفحة متوسطة توزعت موادها على تسعة عناوين تباينت طولا واقساما. وقد صدرت عن «دار نلسن» في السويد ولبنان. وللشاعر قبل هذه المجموعة ثلاث مجموعات اخرى ومختارات صدرت في اللغة النرويجية. وحاكم مردان واحد من شعراء العراق وادبائه المشردين في العالم. في التعريف به وتحت عنوان «الشاعر» نقرأ كلمات يبدو بوضوح انها كلماته هو. يقول عن نفسه «حاكم مردان شاعر عراقي. غادر العراق عام 1980 ممتطيا صهوة قطار شارد. اقام في لبنان حتى اوائل التسعينات ثم هاجر الى النروج عام 1993. يقيم في لبنان منذ 2002 وعلى وشك الهجرة ثانية او ثالثة وعلى حافة الاشياء».

على دفة الغلاف الثانية والى يمين صورة فوتوجرافية للشاعر واقفا نقرأ بعض ما اختير من المجموعة وما يصلح لان يكون نموذجا لشخصية كثير من نتاجه الشعري في المجموعة وروحيتها. يقول «هذا الصباح/ وانا افكر في مصير العالم/ وما سيؤول اليه البشر/ فاجأتني ازهار اللوز/ كم ان امورا كهذه/ مضيعة للوقت.../ ما كانت بضع زهيرات بيضاء/ لتخرجني عن طوري/ انما وددت هذا الصباح/ لو انحنيت/ امام شجرة اللوز/ ودعوتها تكمل عني/ هذه القصيدة».

في العنوان الاول «نصيب الملك» نواجه ما يبدو تداخلا بين الواقع والحلم وقصص الطفولة او ما قد يكون تبادلا للمواقع والوقائع في هذا وذاك وتلك. يقول الشاعر «كان من نصيبي/ ان اجد الملك بانتظار حصته/ رعية تساق الى حتوفها/ ومهرج القصر بمرحه المعهود/ يتمنى لهم رحلة طيبة/ وهو ينطنط فوق عرش مخلع/ لان الملك غادره/ ليطالب بحصته».

ننتقل في القسم الثاني الى تداخل بين قصة «ليلى والذئب» او ذات القلنسوة الحمراء «وعالم حالى يقول «اتذكرون../ الصبية التي كانت تتصدر الحكايا/ او تدلي بشعرها الطويل من برج شاهق الى قدمي العاشق/ او تاتي جدتها/ الذئب/ بسلة الفطائر/ الصبية التي لابد صادفها احدكم في حلم ان لم يكن لديه جدة/ او راها في بيت الجيران الجيران/ اثناء مراهقة كيفما اتفق .../ هي الان نفسها جدة بلا حفيدة ولا سلة ولا فطائر ولا ذئب».

في قصيدة «نملة تنؤ بحملها .. غابة تميد» التي اعطت عنوانها للمجموعة نقرا «هذا الشتاء/ الشجرة العارية/ علمتني رسم الظلال/ بالابيض/ احار بالصفصافة/ ذوائبها مدلاة في النهر/ ياخذها في نزهة/ ام تشده الى عناق/ عندما ابرقت السماء/ ارتدت الغابة/ اساطيرها والتقطت صورة.../ النملة/ التي تنؤ بحملها/ تظن الغابة تميد».

وتحت عنوان «لص الاعمار» شعر وصور ذات غرابة جميلة يومية و«ارفع» من اليومي ورموز واراء تجاور الفلسفة. يقول «ابي وامي/ احرار في الجناية/ ابي مجرم طليق/ وامي رهينة/ وانا فدية/ .../ لص اعمار/ الليل/ لا تدعه بلا ارق».

ينتقل الى مجال اخر فيقول رابطا بين قصص السحر وانجازات العلم وواقع الانسان المسافر تشردا كما حال الشاعر «مكنسة الساحرة» بوينج 747/ يرجى من المسافر حاكم مردان/ التوجه... الخ».

ثم ينتقل الى صور وخطرات فكرية تاتي في «وحدات» تراوح بين سطرين وثلاثة. من ذلك قوله عن طريق يبدو انها لا تنتهي «اريد حذاء/ بقياس الطريق». و«راهب الدير/ كان في الاصل لقيطا». او نجده يحور كلام ديكارت «انا افكر .. اذن فانا موجود» ليحوله الى عبثية.. اذا تذكرنا ان في العبث ترادفا مع اللعب. يقول مردان «انا العب/ اذن انا موجود».

ويرتد الى المعتقدات الدينية مبشرا بعالم دون خطيئة كقصة اكل حواء التفاحة فيقول «الجنة المقبلة/ بدون تفاح». ويفلسف امورا اخرى كقوله «الانتحار/ محاولة النجاة من الموت». و«الموت مبكر/ يمنع الشيخوخة». و«المدرسة/ اول السجون». ونقرأ معه «مرة/ حلمت انني نائم احلم/ ولكي اصحو/ استيقظت مرتين». و«الشجرة لا تنام/ حتى لا يقع العش».

ويختم بقوله «القصيدة كذبة صحيحة 100 في المئة».

وتحت عنوان «لليل عيون» نقرا وحدات مماثلة منها «الى الابد/ لا تعني اكثر/ قهوة الصباح/ بقية الليل». ويرسم عالما «واقعيا جدا» وضبابيا .. عالم وحدة وتشرد وحاجات وذكريات واحلام.. وذلك من خلال اغنية لفيروز. يقول «انا وشادي/ ركوة قهوة/ علبة دخان/ فاطمة/ صندوق يدعى غرفة/ عشرة الاف ليرة/ يسعد هالصباح/ كوكب الرحمة/ ايتها الصحون الطائرة/ احلام اليقظة».

وفي سخرية من احتقارنا للحمير ينقل حوار ساخرا يقلب فيه الاتهامات «الحمار.. انت امراة/ الحمارة.. انت رجل/ كانا يتشاجران».

ويرتد الى حاجات الحياة اليومية ومتطلبات «البيت» فيوردها في رموز تتناول جوانبها المختلفة «الرفيع» والوضيع فهي الحياة اي هي كل ذلك كما يبدو. يقول «زيت قلي/ ورق تواليت/ بن/ ممسحة/ حبيبي.. لا تنس».